الخوف بالأمن وإثارة الفتن والعنف وتهديد كيان الأمة ووحدتها، ولذلك فإنه من الحكمة أن تصبر الرعية على جور الحاكم عملاً بحكمة وجوب احتمال أخف الضررين[٥].

ومن رأي هذا الباحث أن الفلاح المصري، على مدى التاريخ، كان ينظر إلى الحاكم باعتباره قمة المجتمع وصاحب السلطة العليا فيه، وأنه يتمتع بقدسية خاصة، ولذلك يستطيع أن يفعل ما يشاء، وأن الفلاح كان يخشى السلطة إلى الحد الذي لا يستشعر في نفسه القدرة على نقدها وذكر أخطائها علناً، كما كان ذلك يؤدي إلى فقدان روح المبادرة لدى الفلاح والاحساس بعجزه عن تغيير الواقع، بل فقد الفلاح كذلك الايمان بحقه في تغيير واقعه[٦].

ان مثل هذه التصورات عن طبيعة الشخصية المصرية تبدو أكثر ما تكون خطورة عندما تصبح جزءاً أساسياً من الفكر الاجتماعي والسياسي لأحد القادة، ويصبح على هذا القائد ان يسلك، فيما يتعلق بقضايا وطنه وشعبه، مسلكاً تهادنياً وتصالحياً مع الأعداء انطلاقاً من عدم الثقة في القوة الروحية او الخلقية لشعبه كما كان الحال مع أحمد لطفي السيد، فيلسوف حزب الأمة ورئيس تحرير جريدته: «الجريدة» واحد أقطاب حزب الأحرار الدستوريين فيما بعد.

فقد كان من رأي لطفي السيد أن المصريين ينافقون الأقوياء، وأنهم خانعون يقبلون بالاهانة والتحقير ولا يصدر عنهم احتجاج، وانهم يعبدون القوة. وحفلت كتابات أحمد لطفي السيد بكل صفات الهوان والخنوع والدناءة وضعف النفس التي الصقها بالمصريين[٧]. ولعل غابرييل باير هو الوحيد، حتى الآن، الذي عالج هذه الصفات التي الصقت بالفلاح المصري رافضاً اياها. فهو، من الناحية النظرية، لا يرى ان هناك دليلاً على صحة الزعم بان سمة ما لشعب بأسره، او لطبقة بأسرها يمكن أن تنتقل بالوراثة من جيل لآخر. اما الحجة القائلة بأن ظروف مصر الطبيعية: انبساط رقعتها وسهولة المواصلات فيها، واعتماد الفلاح على الحكومة المركزية تجعل من الصعب عليه ان يثور فيرد عليها غابرييل باير بقوله: ان عدداً صغيراً من الثورات كفيل بالتدليل على ان التكوين النفسي للفلاح المصري لا يمنعه من الثورة، ويخلص باير إلى أنه، نظراً لأن عدد الثورات التي قام بها الفلاحون المصريون غير قليل على الاطلاق، فإنه لا اساس من الصحة للنظرية القائلة بأن «الخنوع هو سمة الفلاح المصري». ثم يقدم باير سرداً لأهم الثورات والتمردات التي قام بها الفلاحون المصريون فيما بين عامي ١٧٧٨ و١٩٥١ للتدليل على عدم صحة هذه النظرية[٨].

أما المفكر المصري، عباس محمود العقاد، فكان ينظر إلى موقف الانسان المصري من السلطة نظرة مختلفة. فهو يرى أن موقف الانسان المصري من السلطة يقوم دائماً على اساس من الشك والريبة وليس على اساس من التقديس والخوف، ولم يكن في العلاقة بين الفلاح المصري والسلطة ودّ يحرص عليه الفلاح، او ضمان يحميه. ويرى العقاد انه إذا كان الفلاح يرتبط بالأمة وبالحياة القومية عن طريق روابط الأسرة التي تشكل له ضماناً ما ضد القسوة والظلم، فإن هذا هو الجانب المحافظ في الفلاح. ولكن العقاد، على